الصِّلات اللسانيّة بين الهند والعرب

الدكتور جميل أحمد

أولاً : منذ أقدم العصور إلى ظهور الإسلام

١ ـ تأثر الجانب الهندي :

لقد وصلت اللغة العربية إلى شبه القارة الهندية الباكستانية قبل الإسلام بزمن بعيد على يد التجار والملاحين من العرب ، فإن الهند والبلاد العربية كانتا على صلة تجارية مستمرة . والملاحة العربية في المياه الهندية كانت معهودة قبل الإسلام بقرون عديدة(١) . إذن من الطبيعي أن تنتج عنها آثارها في الحقل اللغوي لضرورة التفاهم بشأن تبادل البضائع والسلع . يصدّق ذلك ماأورده السيد سليمان الندوي في كتابه « عرب وهندكى تعلقات(٢) ». نقلاً عن كتاب الBاندیت الكبير سوامي ديانندجي المسمى « ستيارته بركاش » :

لما أراد (كورو) أن ينزلوا أعداءهم (باندو) في البيت المصنوع من الشمع أثناء حرب مهابهارت التي وقعت بين الطائفتين ، حينئذ كشف

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة « Saba » ؛ حوراني Arab Seaforing ٤ ـ ٥ ، ٣٢ ـ ٣٣؛ تاراتشند ٢٩ Influence of Islam on Indian Culture

(٢) ص ١١

(دور جي) عن تلك المؤامرة باللغة العربية ، وأجابه (بدهشتر) أيضاً باللغـة نفسها » .

فاللغة العربية كانت لغة التخاطب السري أثناء حرب كورو وباندو . ينم هذا عن كون اللغة العربية معهودة كأصحابها التجار العرب في الهنـد منذ فجر التاريخ .

ولغات المقاطعات الساحلية في جنوب الهند وغربها تحمل أيضاً طابع التأثر من العربية ، وإن أعوزتنا الوسائل لتقدير مدى ذلك التأثر بالضبط ، ثم الخط البراهمي الذي طوره الهنود ليلائم مقتضيات لغاتهم إنما دخل في الهند سنة ٨٠٠ قبـل الميلاد على ماقاله بوهلر بواسطة التجار الفينيقيين (١) الذين هم من أصل سامي . لاأدل على ذلك مما وجد من نقوش دولة موريان (Mauryan) ودولة اندهرا (Andhra) التي هي مكتوبـة بالحروف العربية ، وكذلك كتابات اشوك التي هي مرسومة من الجهة اليمنى على على نمط الخط العربي (٢) . ولا يخفى أن الكتابة من الجهة اليمنى مميزة تخص اللغات السامية لاغير . فهذا دليل قاطع على أن الصلات اللسانية بين الهنـد والعرب ترجع إلى ماقبل الميلاد بمئات السنين .

ب ـ تأثر الجانب العربي ـ الكلمات الهندية المعربة :

كذلك كان الجانب العربي قد تأثر قديمـاً من الاحتكاك بالهنود ولغاتهم ، فقد تسرب إلى اللغة العربية عدد كبير من مفردات اللغات الهندية من أسماء العقاقير والأطياب الزكية والأحجار الثمينة والأخشاب النفيسة

(١) دائرة المعارف البريطانية (Sanskrit)
(٢) المصدر نفسه .

والتوابل الحارة والأبزار والسيوف ومصطلحات التجـارة والملاحـــة وما إلى ذلـك .

وهاك مثلاً بعض تلك الكلمات الهندية[1] الأصل التى جرت على لسان الملاحين العرب حتى عربت وشقت طريقها إلى الشعر الجاهلي :

الصندل (الـسـنـكرية) chandan ، الفلفل[2] (التاملية) Pipalli ، المسك[2] (الهندية) Muska ، القرنفل[3] (الهندية) kanakphal karanphul[3] الكافور (الهندية) Kapur ، البارجـة (الهنديـة) Bera[4] . وفوق ذلك كله وردت بعض الكلمات الهندية الأصل ـ على الأقل

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في العلاقات التجارية للدكتور السيد محمد يوسف في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، مايو ١٩٥٣ م ،وانظر أيضاً : سواء السبيل ؛ عربون كي جهاز رانى ص ١٤ — الندوي : عرب وهندكى تعلقات ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، جفرى = Foveign vocabulary of Quran

(٢) فهناك أشعر الشعراء امرؤ القيس يقول في معلقته :

ترى بعـر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
إذا قامتـا تضـوع المسك منهـا نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وكذلك ذكر الشاعر علقمة الفحل ميناء هندياً هاماً « Kalkai » ربما سار اسمه مع اللآلىء التي كانت تصدر منه :

محـال كأجواز الجراد ولـؤلـؤ من القلقي والكبيـس الملوب

انظر العلاقات التجارية ص ١٥

(٣) انظر سواء السبيل ؛ آنندراج مادة قرنفل .

(٤) البيروني ١٦٧ ؛ دهخدا ٢٩٢/٥ عن البيروني ، سواء السبيل ١٥ ؛ عربون كي جهاز رانى ١٤ .

ثلاثة منها ـ في القرآن المجيد ، وهي كافور ، زنجبيل ، ومسك[١]. وفي تاج العروس : « طوبى اسم (الجنة بالهندية) معرب عن توبى »[٢].

فخلاصة القول إذن أن الصلات بين العرب والهند ليست وليدة الإسلام ، بل كانت قائمة قبله بقرون ، إلا أنها كانت تجارية بحتة ، ومنها نشأت بينها حركة التبادل اللغوي ، إلى أن أخذت اللغة العربية عن اللغات الساحلية الهندية عدداً من أسماء المستوردات من نواحي الهند ، كما ألف التجار الهنود وسكان المدن الساحلية العربَ ولغتَهم .

ج ـ الجاليات الإسلامية بالهند :

وكان من الطبيعي أن استقرت جاليات التجار من العرب والفرس بسواحل الهند الغربية والجنوبية بعد ظهور الإسلام ، إلا أنها سرعان ماتحولت إلى جاليات إسلامية مع الاحتفاظ بالعلاقات التجارية والصلات الودية مع الأهالي ، مما أدى على مرّ الزمن إلى كثرة الاختلاط والزواج بالنساء الوطنيات كما يقول تاراتشند : « واتخذ المسلمون ثلاثة مقرات على ساحل الهند الجنوبي وفي سيلان . يقول رولندسن (Rowlandson) : إن المسلمين العرب بادىء بدء استقروا بساحل مليبار في أواخر القرن السابع »[٣] . يؤيد هذا القول فرانسس دي (Francis Day) بالروايات المتوارثة[٤]

(١) الندوي ٧٢ . فقد قال الله تعالى :
« إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » (٧٦ : ٥) و « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً » (٧٦ : ١٧) ، « وختامه مسك » (٨٣ : ٢٦) ، إلا أن جفرى دل على أكثر من ثلاث كلمات .

(٢) ٣٥٨/١ (فصل الطاء من باب الباء) تحت « طوبى » .

(٣) تاراتشند ٣٢ نقلاً عن مقدمته « تحفة المجاهدين » (ليدن ١٨٣٢ م) .

(٤) المرجع نفسه نقلاً عن كتابه « The Land of the Perumals ص ٣٦٥

وكذلك يدعمه ستورك (Sturrock) فيما كتبه عن موبلا (Moplahs) قائلاً: « مما هو معلوم أن التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وبعده ، بعدد كبير ، على السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة وتزوجوا النساء الوطنيات ، وكانت جالياتهم في ملبار خاصة ، كبيرة هامة »[١].

ومن التجار العرب الذين استوطنوا ملبار أولاً مالك بن دينار ، وشرف بن مالك ، ومالك بن حبيب . إنهم استقروا في مدينة كدنكلور ، وبنوا هناك مسجداً ، ثم أشرقت ربوع كوالم ومنجلور وكدنكلور وكانجركوت وغيرها بنور الإسلام ،وشيدت المساجد [٢]، ومن المعلوم ما للمساجد من الفضل في نشر التعاليم الإسلامية واللغة العربية ، فإنها كانت حينذاك معاهد لتعليم اللغة العربية وآدابها ومراكز لتدريس الفنون الإسلامية . ومن أهم مايدلّ على وجود المسلمين في بلاد الهند الجنوبية في بدء بزوغ الإسلام النقودُ الإسلامية المدفونة التي أخرجت في ملبار منقوشة عليها سنة ٧١ هـ[٣] ، والقبر الموجود بكوالم المكتوب عليه اسم صاحبه « عليّ » وتاريخ وفاته ١٦٦ هـ[٤] ،وذكرى الملك الذي اعتنق الإسلام أولاً وسمي بعبد الرحمن السامري ، التي يحتفل بها أهل ملبار من

---

(١) تاراتشند نقلا عن كتابه « south kanara, Madras District Manuals » ص ١٨٠

(٢) للتفصيل راجع تحفة المجاهدين ١٣ — ١٥ ، تاريخ فرشته ٢/٧٠٠ — ٧٠٥ ؛ آرنلد Preaching of Islam ٢٦٤ — ٢٦٥ ؛ تاراجند ٣٤

(٣) تاراجند ٤٠

(٤) آرنلد ٢٦٣ (علي الهامش) ؛ تاراتشند ٣٤

الكفرة والمسلمين إلى الآن(١). وإن زمورن (Zamorin) راجه كالكيت حين يتوج يلبس لباس المسلم بأيدي المسلمين ويعتقد أنه خليفة السامري، ويحكم من قبله إلى حين رجوعه من جزيرة العرب(٢)،وإن راجه تراونكور حين يتوج ويأخذ السيف بيده يقول « إن هذا (كله) عنده إلى أن يرجع عمه الذي غادر إلى مكة »(٣).

ثانياً ـ بعد الفتح الإسلامي

١ ـ فتح العرب السند وآثاره

أما موجة الفتح الإسلامي فقد وصلت إلى السند سنة ٩٢ هـ حتى خضعت السند كلها من ديبل إلى تخوم كشمير لحكم العرب. وكان لهذا الفتح آثار بعيدة المدى في حقول العلم والثقافة واللغات الدارجة المحلية.

فأولاً: ازدادت معرفة العرب بالقبائل السندية مثل الأساورة والسيابجة والزط والاندغار (٤) وهم قوم من السند انتقلوا من موطنهم إلى

(١) تحفة المجاهدين ١٦، تاريخ فرشته ٢/٧٠٢؛ تاراتشند ٣٤

(٢) قادر ٢٤١؛ تاراتشند ٣٤

(٣) تاراتشند ٣٥

(٤) البلاذري (النهضة) القسم الثاني ص ٤٦٣ : والاندغار من ناحية كرمان مما يلي سجستان. وفي اللسان: الزط جيل أسود من السند، إليهم تنسب الثياب الزطية، وقيل: الزط أعراب جت (Jat) بالهندية وهم جيل من الهند ... (مادة « زطط »)

وقال الخوارزمي في الكلام على طبقات الهند: الزط هم حفاظ الطرق، وهم جنس من السند يقال لهم جتان. انظر المفاتيح ص ٧٤

البصرة وما جاورها من البلاد العربية وانخرطوا في خدمـة الجيش والإدارة الحكومية، كما أنهم اندمجوا في الحياة الاجتماعية بحيث اشتهرت مزاياهم القومية وخصائصهم اللسانية بين العرب[١].

ثانياً: اشتد إقبال الموالي من سبي الســـند على العلوم الدينية والأدبية بما فيها اللغة العربية حتى نبغ منهم كثيرون في العراق وفي الشام والحجاز أمثال الأوزاعي (ف ١٥٧ / ٧٧٤)[٢] وربما أبي حنيفة أيضاً (ف ١٥٠ / ٧٦٧)[٣]، وأبي معشر نجيح بن عبد الرحمـــن

= وذكر الإمام البخاري في الأدب المفرد ص ٣٥ - حيث يروي عن مرض السيدة أم المؤمنين عائشة (رض) - أن طبيباً من الزط قام بعلاجها.

وفي البلاذري أيضاً ص ٤٦١ و ٤٦٢ : أما السيابجة والزط والاندغار فإنهم كانوا في جند الفرس ممن سبوه وفرضوا له من أهل السند... فلما سمعوا بما كان من أمر الأسـاورة أسـلموا وأتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة... أتي الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بهـا من الأمم، معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم، فأسكنهم بأسافل كسكر.

(١) راجع البيان والتبيين ٢/٢١٣ – ٢١٥

(٢) اسمه عبد الرحمن. هو أحد أئمة الفقهاء في الإسلام. كان جريئاً احتج بقوة على الجرائم التي اقترفها العباسيون في لبنان، ترجمته وردت في البلدان (القاهرة) ١/٣٧٤؛ البلدان (بيروت) ٣/٢٨٠؛ الذهبي ١/١٦٨؛ التهذيب ٦/٢٣٦؛ معارف (مجلة تصدر من اعظم كره) ٧٦ العدد ٢ (اغسطس سنة ١٩٥٥).

(٣) هو النعمان بن ثابت بن زوطي صاحب المذهب الحنفي، جده زوطي من أهل كابل، وقيل من أهل بابل وقيل من أهل نسا بخراسان. وقيل من أبناء فارس من الأحرار. فاسم جده وكونه من أهل كابل (حسب الرواية المشهورة) ترجحان أنه من الزط.

السندي (١٧٠ / ٧٨٦) [١] ، والشاعر المشهور أبي عطـــاء السندي (ف٢٢٢/٨٣٦) [٢] .

ثالثاً : تقدم عدد من علماء السند للمساهمة في الحركة العلمية ببغداد بنقل علومهـم الرياضية والطبيعية وآرائهم الفلسفية إلى العربية حتى ذاع صيت العلوم الهندية القديمة بين المثقفين من العرب . ومن أولئك العلماء ابن دهن [٣] ، وصالح بن بهلة [٤] ومنكة [٥] وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباد

= راجع الفهرست (الاستقامة) ٢٩٨ ؛ طبقات الفقهاء ٦٧ (على الهامش) ابن خلكان ١٦٣/٢ ؛ النجوم الزاهرة ٢/ ١٢ ؛ مفتاح السعادة ٦٩/٢ ؛ ذيل الجواهر ٤٥١/٢ – ٤٥٢

(١) هو صاحب المغازي . درس في مدينة الرسول وبغداد . نقل عن كتابه « المغازي » الواقدي وابن سعد . الفهرست (الاســتقامة) ١٤٢ ؛ السمعاني ٣١٣ ؛ الذهبي ٢١٦/١ ؛ التهذيب ٢٠/١٠ – ٤١٩ و ٤٢٢ ؛ الأعلام ٣٢٨/٨ – ٣٢٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ١٠٠/١

(٢) هومولى بني أسد ، شاعر مشهور . جمع بين لثغة ولكنة ، فلم يقدر على النطق بالجيم والحاء والشين والضاد والطاء والعين . له في الحماسة مقاطيع جيدة تدل على علو كعبه في الشعر . وقد طبـع ديوانه مصدّراً بترجمته في مطبعة السند بحيدرآباد دكن ، ١٣٨١/١٩٦١ . انظر أيضاً ابن خلـكان ٥٨٥/٢ – ٥٨٦ ، ٢٩٠/٣ – ٢٩١ ، النزهة ١٩/١

(٣) ترجم عدة كتب عـــن اللغة الهندية إلى العربية ، كما في الفهرست (الرحمانية) ٣٤٢ و (الاستقامة) ٣٥٦

(٤) ورد ذكره في ابن أبي أصيبعة ٣٤/٢ ؛ القفطي (مصر) ١٤٥ – ١٤٧ و (ليبسك) ٢١٥ – ٢١٧

(٥) كان طبيباً حسن المعالجـة ، فيلسوفاً من جملة المشار إليهم في علوم الهند ، سافر من السند إلى العراق في أيام الرشيد هارون . وكان ينقل من اللغة =

الهندي(١) ، وكنكة الهندي صاحب كتاب النمودار في الأعمار ، وكتاب أسرار المواليد ، وكتاب القرانات الكبير ، وكتاب القرانات الصغير(٢) .

إلا أن هذه ظواهر التقرب بين العرب وأهالي السند لاغير ، ولم يكن لالتقائها خارج حدود السند أثر غير نقل بعض المصطلحات العلمية وتعريبها أثناء نقل العلوم الهندية إلى العربية مثل « اوج »(٣) و « ارين »(٤) وغيرهما .

الهندية إلى الفارسية والعربية ، ومن جملة مانقله منكة إلى العربية كتاب سيسرد ، وعشر مقالات ، ويجري مجرى الكناش ، وكتاب أسماء عقاقير الهند . انظر ابن أبي أصيبعة ٣٣/٢ ، والفهرست (الرحمانية) ص ٣٤٢ و ص ٤٢١ و (الاستقامة) ص ٣٥٦ و ص ٤٣٥ ، وكان منكة صحيح الإسلام . راجع الحيوان ٢١٣/٧

(١) وردت هذه الأسماء في البيان والتبيين ١٠٦/١ . فذكر الجاحظ عن أبي الأشعث : أن يحيى بن خالد اجتلب أطباء الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباذ الهند وفلان وفلان ..

(٢) القفطي (ليبسك) ٢٦٥ - ٢٦٧ و (مصر) ١٧٤ - ١٧٥

(٣) أصله بالهندية اج « بالجيم المثلثة » من مصطلحات المنجمين . آنند راج ٤٩١/١ ، سواء السبيل ١٣ ، ولكن في الكشاف للتهانوي ٥٥/١ (فصل الجيم) : معرب أوك بمعنى العلو والظاهر أنه يعني ١١/ج لاغير .

(٤) أرين : أصله (ujjiyaini) اسم لبلدة هندية كان فيها مرصد فلكي ، انظر (Legacy of Islam) ص ٩٣ . والمراد في العربية محل الاعتدال في الأشياء وهو نقطة في الأرض يستوي معها ارتفاع القطبين فلا يأخذ هناك الليل من النهار ولا النهار من الليل . وقد نقل عرفاً إلى محل الاعتدال مطلقاً « التعريفات ص ٧ راجع أيضا دهخدا ج ٣ تحت « ارين » .

أما مكانة اللغة العربية في السند وآثارها في الثقافة العامة واللغات المحلية بوجه خاص ـ أعني الموضوع الذي يهمنا في مقالنا هذا ـ فمن الواضح أن الحكم الإسلامي العربي بقي في هذه الأرض قرنين ونصف قرن إلى أن هاجم المحمود الغزنوي محارباً سنة ٣٩١ / ١٠٠١ ، وقد كان العرب في قمة سلطانهم الديني والثقافي على الشعوب المغلوبة المتخبطة في ظلمات الضلال والجهل ، ولاسيما في السند حيث كان الأهالي من الهندوس منقسمين إلى طبقات ، علياها البراهمة وسفلاها وديش . وقد زعم الهنود أن البراهمة خلقوا من رأس « براهما » ، وديش خلقوا من رجليه ، أما البوذيون فهم كانوا يقاسون الظلم والذلة على أيدي البراهمة ، فكانوا مستعدين لاستقبال المسلمين والترحيب بهم[(١)] . فلما أنار الإسلام سبل المعرفة والعلم أمام أهالي هذه البلاد ، ووجدوا باب السعادة مفتوحاً على مصراعيه بين أيديهم اعتنقوا دين الإسلام أفواجاً حتى أمراؤهم وملوكهم[(٢)] مثل جي سنگهه بن داهر ، وتسموا بالأسماء العربية الإسلامية ، وأخذوا من الثقافة الإسلامية العربية بحظ وافر . وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة الدين والعلم والثقافة بطبيعة الحال ، بل ولغة التخاطب في بعض مناطق الأرض المفتوحة ، فضلاً عن كونها لغة الكتابة والإدارة الحكومية في معظم مناطقها جنباً لجنب اللغة المحلية ، ففي أحسن التقاسيم للمقدسي الذي زار السند في عام ٩٨٥/٣٧٥ : « ديبل بتحْريّة قد أحاط بها نحو من مائة قرية . أكثرهم كفار .. كلهم تجّار كلامهم سندي وعربي[(٣)] وهكذا يشهد الاصطخري : « ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها

---

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في جچنامه (كلا الجيمين مثلث) ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٨ – ١٢٣

(٢) البلاذري ٤٢٩ (السعادة)، جچنامه ٢٠٨ و ٢٠٩

(٣) ص ٤٧٩

العربيةُ والسندية ». ومما يدلُّ على انتشار علم الحديث والفقه بوجه خاص قول المقدسي : « أكثرهم (أهل السند وما صاقبها من الهند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داود بها إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف ، وقد صنف كتباً عديدة حسنة .. ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة[١] وله كتب جليلة حسنة كبار منها كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير »[٢] .

ب ـ العلماء الواردون أرض السند

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء العلماء الأتقياء الذين وردوا أرض السند في عهد الحكم العربي ، ونبغوا في الإفادة والإفاضة معتكفين في بيوتهم أو في المساجد التي كانت تقوم حينذاك مقام المعاهد العلمية والجامعات ، ومنهم[٣] :

١ ـ الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي ، ولاّه محمد بن القاسم القضاء والخطابة بالرور[٤] ، وبقي أولاده على القضاء إلى زمن طويل متلقبين بالصدر الإمام الأجل ، بدر الملة والدين ، سيف السنّة ، ونجم الشريعة . ومن أعقابه المتأخرين الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور . وكان خطيباً مصقعاً وعالماً باهراً بالفنون الأدبية وتقياً نقياً . اجتمع به علي بن الحامد الكوفي السندي صاحب « جج نامه » سنة ٦١٣/١٢١٦ ورأى

(١) أحسن التقاسيم ٤٨١

(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦ و (الاستقامة) ٣٢٠

(٣) انظر التفصيل في إسحاق ٢١ — ٢٨

(٤) جج نامه ٢٥٣

عنده أجزاء من تاريخ وغزوات المسلمين في السند وفتوحاتهم بها بالعربية ، كتبها آباء القاضي ، فنقلها علي بن الحامد الكوفي إلى الفارسية (١) .

٢ ـ والربيع بن صبيح السعدي من تلامذة الحسن البصري وشيوخ الثوري ووكيع(٢) . قيل إنه أول من صنف وبوّب بالبصرة (٣) . توفي سنة ٧٧٦/١٦٠ بأرض السند .

٣ ـ وعمرو بن مسلم الباهلي المتوفى حوالي ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م من أبرز الأعلام الذين نحن بصددهم في هذا الباب ، ولاّه عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد على بلاد السند وما صاقبها من الفنجاب سنة ١٠٠ هـ ، وهو الذي دعا الملوك وعامة الناس إلى الإسلام بأمر الخليفة المذكور ، فقبله بعض الملوك وجمع من الناس(٤) ، كما أنه بذل أقصى جهوده في سبيل نشر القرآن والسنّة ، إذ كانت اللغة العربية لغة القرآن والسنة . والأحاديث نالت طبعاً مكانة مرموقة في قلوب المسلمين الجدد . وكان عمرو بن مسلم راوياً يروي عن يعلى بن عبيد ، ويروي عنه أبو الطاهر (٥) .

٤ ـ وإسرائيل بن موسى ، أبو موسى البصري نزيل السند . هو من أتباع التابعين ، يروي عن الحسن البصري (ف ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ومحمد بن

(١) جچ نامه ٩ — ١١ ؛ ومقدمة جچ نامه ص « يز » ؛ النزهة ١٢٥/١

(٢) ابن سعد ٢٧٧/٧ ؛ الطبري ٤٦٠/٣ و ٤٧٦ — ٤٧٧ ؛ التهذيب ٢٤٧/٣ — ٢٤٨ ؛ الشذرات ٢٤٧/١ ؛ الأبجد ٨٨٩ . وانظر أقواله والأحاديث المروية عنه في حلية الأولياء ٣٠٤/٦ — ٣١٠

(٣) التقريب ١٥٥ ، كشف الظنون ٣٤/١ و ٦٣٧

(٤) البلاذري (السعادة) ٤٢٩ ؛ ايليت ٢٦/١

(٥) التهذيب ١٠٥/٨

سيرين (ف ١١٠ / ٧٢٨) وغيرهما من الرواة الثقات . ويروي عنه سفيان الثوري (ف ١٦١ /٧٧٨) وابن عيينة (ف ١٩٨ ﻫ) وغيرهما من الحفاظ الكبار . توفي حوالي سنة (٧٧١/١٥٥)[١] .

٥ - ويزيد بن أبي كبشة السكسكي الدمشقي . روى عن أبيه أبي كبشة ومروان بن الحكم ، وعنه أبو بشر وغيره . ذكره ابن حبان في الثقات،[٢] ولاّه سليمان بن عبد الملك السند، لكنه مات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً في عام ٧١٥/٩٧ [٣].

ج - العلماء من أهل السند

ونسمع في هذا العصر أيضاً عن مراكز الثقافة وحلقات الدرس في السند كديبل والمنصورة ، تخرج منها علماء أنجبتهم أرض السند، وقد كان لهم شأن عظيم في العالم الإسلامي[٤] كأمثال أبي جعفر محمد بن إبراهيم ابن عبد الله (ف ٣٢٢/ ٩٣٤) الذي سافر من ديبل إلى مكة ليتلقى الحديث[٥] ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله الديبلي المتوفى في نيسابور سنة ٩٥٤/٣٤٣ ، وهو من الرحالة المتقدمين في طلب العلم[٦] ، وإبراهيم بن أبي

(١) الميزان ٩٧/١ ؛ التهذيب ٢٦١/١ ؛ التقريب ٣٩

(٢) التهذيب ٣٥٤/١١ — ٣٥٥ ؛ راجع أيضاً التقريب ٥٦١

(٣) البلاذري (النهضة) ٥٤٠/٣ ؛ (السعادة) ٤٢٨ ؛ الطبري ١٢٦٨ ؛ ابن الأثير ١٣٤/٤ ؛ الشذرات ٢٩٥/٢

(٤) انظر التفصيل في إسحاق ٢٨ — ٤٢

(٥) في البلدان ٤٩٥/٨ «جاور مكة روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبدالرحمن المخزومي وحسين بن حسن المروزي» .

(٦) السمعاني الورقة ٢٣٦

جعفر محمد (ف ٣٤٥/٩٥٦) المتقدم ذكره[١] ، وأبي العباس أحمد بن محمد الداودي المنصوري قاضي المنصورة ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في عام ٣٦٠/٩٧٠ عندما ارتحل إلى بخارا [٢] ثم رجع إلى المنصورة وأقام بها حلقة الدرس . وآخرين ذكرهم السمعاني ، منهم من حدث بمصر[٣] وما وراء النهر[٤] وبغداد[٥] وقام خطيباً وإماماً في جامع مدينة المنصور والحربية[٦] .

وأخيراً لا أدل على مكانة اللغة العربية كلغة رسمية إبان الحكم العربي

---

(١) البلدان ٨/٤٩٥ ؛ إسحاق ٣٢

(٢) السمعاني الورقة ٥٤٣ ؛ إسحاق ٣٨

(٣) مثل شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي المتوفى حوالي عام ٤٠٠/١٠٠٩ « قدم مصر وحدث بها وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه » . راجع السمعاني ٢٣٦

(٤) مثل أبي العباس محمد بن محمد بن الحسن المنصوري الهاشمي ، حدث بما وراء النهر ، حدث عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني وأبي القاسم البغوي وأبي جعفر الطبري وجماعة سواهم ، روى عنه أبو سعد الإدريسي الحافظ . توفي سنة ٣٤٧ بفرغانة . السمعاني ٥٤٣

(٥) مثل خلف بن محمد الديبلي ، نزل بغداد وحدث بها عن علي بن موسى الديبلي . الخطيب ٨/٣٣٣

(٦) كأبي جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى المنصوري (ف ٣٥٠ هـ) ، « كان إمام جامع مدينة المنصور وكان ثقة ، وكأبي الفضل محمد ابن عبد العزيز بن العباس الهاشمي المنصوري (ف ٤٤٤ هـ) كان خطيب جامع الحربية (وهي محلة كبيرة ببغداد كما في معجم البلدان ٦/٢٣٧) وكان من أهل الخير والفضل والعلم .... روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ فقال : كتبت عنه وكان صدوقا » . انظر السمعاني ٥٤٣

من الكتابات التي اكتشفت منذ أعوام في بهمبور ، وهي بالخط الكوفي وترجع إلى القرن الثالث الهجري[١] .

ثالثاً ـــ في مكانة اللغة العربية في العصر الغزنوي وما يليه من العصور

انتقل زمام الحكم إلى الغزنويين في آخر القرن الرابع الهجري ، وفي أيامهم أصبحت الفارسية (الملقحة بالعربية) لغة البلاط والإدارة . وإذ كان أهل غزنة ينطقون بالفارسية جعلت لغتهم تبرز في الآداب بالترجمة عن العربية خاصة في الشعر والتاريخ ، ولكن العربية ظلت لغة المثقفين ثقافة عليا ، وكان لابد منها للبحث العلمي ولطلب الرفعة في المجتمع والعلو في البلاط . وفي أيامهم غدت لاهور ـ عاصمة الدولة الغزنوية في الهند ـ مركزاً عظيماً للآداب العربية والعلوم الدينية . فليس من الغريب ألا نجد أحداً من أعيان البلاط الغزنوي يجهل العربية ، حتى الشعراء الذين نظموا القصائد بالفارسية والذين ألفوا الكتب بها ، كانوا مثالاً ونموذجاً للجمع بين اللغتين كأبي العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي (ف ٤٩١)[٢] الكاتب الذي قضى من عمره ثماني سنين في الأسر بلاهور ، وله ديوان شعر بالعربية وديوان آخر بالفارسية ومن شعره بالعربية :

---

(١) الكتابات في متحف كراتشي ، راجع الموضوع بالتفصيل في Pak. Archaeology) العدد ٣ ، ١٩٦٢ (الألواح بأرقام ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٦ الف و ٢٦ ب و ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٢ الف و ٣٣ ب ، و٣٥ و ٣٦)

(٢) ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ١٢/١٧٠ – ١٧٢ ، ونموذج من نثره ١٧٢ – ١٧٧ ، و نموذج من شعره ١٧٧ – ١٨١ ، راجع أيضاً النزهة ١/٨٤ – ٨٦

اللهُ جـــار عصابة ودّعتهم والدّمع يهمي والفؤاد يهـــيم
قد كان دهري جنـــة في ظلهم ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم
كانوا غيوث سماحةٍ وتكرمٍ فاليوم بعدَهُمُ الجفونُ غيـــوم
رحلوا على رغمي ولكنْ حبهم بين الفـــؤاد المستهام مقيم
قد خانَهم صرفُ الزمان لأنّهم كانوا كِراماً والزمانُ لئيمُ
اللهُ ـ حيثُ تحملوا ـ جار لهم والأمنُ دارٌ والسرورُ نديمُ
والعيشُ غَضٌّ والمناهِلُ عَذْبَةٌ والجوُّ طلقٌ والرياحُ نسيمُ(١)

كذلك مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري(٢) ولاّه محمود بن إبراهيم الغزنوي الأعمال الجلية بعدما برز في كثير من العلوم والفنون . وله ثلاثة دواوين في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والهندية ، ومن سوء الحظ أن ديوانه العربي قد طارت به العنقاء للأبد(٣) ، ويكفي دلالة على فضله في جودة كلامه وانسجام بيانه ما أورده من أبياته رشيد الدين الوطواط في حدائق السحر يستشهد بها في براعة المطلع والتورية وغيرهما .

(١) الأدباء ١٢/١٨٠ – ١٨١

(٢) توفي إما في ١١٢١/٥١٥ أو ١١٣١/٥٢٥ ، انظر براون ٢/٣٢٦ دائرة المعارف الإسلامية (Mas'ud)

(٣) المصادر : السبحة (سبحة المرجـــان) ٢٦ – ٢٨ ؛ الأبجد = أبجد العلوم لصدّيق حسن خان ٨٩٠ ؛ تذكرة ٢٢٦ ؛ النزهة ١١٤–١١٦ ؛ ترجمته وردت أيضاً في لباب الألباب ٢٤٦ ؛ دولت شاه ٣٩ ؛ براون ٢/٣٢٤ – ٣٢٦ ؛ دائرة المعارف (Mas'ud)

ومن أبياته :

وليلٍ كأنَّ الشّمسَ ضلّتْ ممرَّها وليس لها نحوَ المشارقِ مرجِعُ
نظرتُ إليه والظَّـلامُ كأنَّهُ على العَيْنِ غِربانٌ من الجوِّ وُقَّع
فقلتُ لِقلبي طال ليلي وليس لي من الهمّ مَنْجاةٌ وفي الصّبرِ مَفْزَعُ
أرَى ذَنبَ السِّرحان في الجوّ طالعاً فهل ممكنٌ أن الغزالةَ تطلع

ومنهم أبو النصر محمد العتبي صاحب « التاريخ اليميني »(١) ، وهو مؤرخ موثوق به في معرفة أخبار الدولة الغزنوية . توفي سنة ١٠٣٦/٤٢٧ .

ومن الفقهاء الزهاد الذين كانوا ذوي لغتين ، بارعين فيها معاً : علي ابن عثمان الهجويري صاحب كشف المحجوب المعروف « داتا كَنج » توفي سنة ١٠٧٢/٤٦٥ — ٧٣ بلاهور ، وقبره يزار ويتبرك به إلى الآن (٢) .

أما غرة جبين الدولة الغزنوية فهو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ،لم يكن له نظير في عصره في الجمع بأشتات من العلوم الشائعة في الدول الإسلامية بالإضافة إلى حكمة الهنود وما إليها . صنّف كتباً كثيرة فى فنون شتى ، كلها باللغة العربية . كما أنه أوضح مكانة اللغة العربية في العلم والثقافة في ذلك العصر بقوله :

---

(١) قد طبع في دهلي بعناية سبرنكر .

(٢) ترجمته : فوائد الفؤاد ٤٥ ، خزينة الأصفياء ٢٣٢/٢ — ٢٣٥ ، تذكرة ٥٩ ، النزهة ٨٢/١ — ٨٦ ، صوفية ١ - ٣٤ ، وفي فوائد الفؤاد : « انه كان يقول الشعر بالعربية » .

« إن كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها ، واستعملتها في مآربها ... وأنا نفسي قد طُبعتُ على لغة (يريد بها لغته الأصلية الخوارزمية) لو خلد بها علمٌ لاستُغرب استغراب البعير على الميزاب ، والزرافة في الأكواب ، ثم انتقلتُ إلى العربية والفارسية ، وأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف ، والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتابَ علمٍ نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودَّ وَجْهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لاتصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية »[١] .

وله قصائد غراء باللغة العربية ، ومن قصيدة له أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء[٢] :

ولماَّ مضَوْا واعتضتُ منهم عصابةً دعَوْا بالتناسي فاغتنمت التناسيا
وُخلِّفتُ في غزنين لحماً كمضغةٍ على وَضَمٍ للطير للعلم ناسيا
فأبدلت أقواماً وليسوا كمثلهم معاذ إلهي أن يكونوا سَواسيا

وقد كان السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ - ٤٢١/٩٩٩ - ١٠٣٠) نفسه من أعيان الفقهاء في عصره . وله « التفريد في الفروع » في الفقه ، ذكره

(١) ظهر الإسلام ٩/١ – ٢٨٨ ، عن قطعة نقلها الأستاذ كرنكو عن كتاب الجماهر في معرفة الجواهر – في مجلة (Islamic Culture) ٥٣٠/٦

(٢) ١٨٦/١٧ – ١٨٨ ، راجع أيضاً ٩٣/٤ – ٩٤

الچلپي وقال نقلاً عن الإمام ابن شيبة :« وكتابه هذا مشهور في بلاد غزنة ، وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل »[١] .

كفى بهذا دليلاً على أن اللغة العربية لم تزل كما كانت لغة العلم والثقافة مع استعمال اللغة الفارسية في التخاطب وبعض الأغراض الأدبية .

وخلفت الغزنويين دولةُ الأسرة الغورية في عام ٥٨٢/١١٨٦ وحكمت في الهند إلى عام ٦٠٢/١٢٠٥ ، وجعل الغوريون دلهي عاصمتهم ، فانتقلت العلوم العربية الأصيلة والآداب الفارسية التابعة لها من لاهور إلى العاصمة الجديدة . وفي أيامهم غدت الفارسية لغة رسمية للحكم والإدارة ، إلا أنهـا لم تزحزح العربية قط عن مكانة الرفعة والشرف التي تمتعت بهـا (ولا تزال تتمتع بها باستمرار في الدراسة الأكاديمية بين الشعوب الإسلامية) فإنها بقيت لغة العلوم الدينية مثل الحديث والتفسير والفقه والأصول ، والعلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والهيئة والرياضي والفلسفة والمنطق وغير ذلك ، فلم يكن أحد لينال براعـــة في العلم أو حظوة عنـد الأمراء إلا إذا كان مثقفاً ثقـافة عربيـة .

وفي أيام المماليك (٦٠٢ - ٦٨٨/١٢٠٦ - ١٢٩٠) وعلى رأسهم قطب الدين (٦٠٢ - ٦٠٧/١٢٠٦ - ١٢١١) مملوك محمد الغوري الذي تولى الملك بعده ، نسمع لأول مرة عن مدارس منتظمة ومعاهد حكومية تحت رعاية السلطان ، بل يرجع تأسيس أول معهد من هـذا النوع إلى شهاب الدين محمد الغوري مؤسس الدولة الغورية في جمير وذلك بعدما احتل چتور ، ولكن امتازت بالشهرة المدرستان المعزية والناصرية بدار الملك دلهي[٢] ، وعين فيها

(١) كشف الظنون ٤٢٦/١ (مطبعة وكالة المعارف ١٩٤١)

(٢) طبقات ناصري ١٨٨ — ١٨٩

وفي المعاهد الأخرى أبرز المدرسين من الهند وخارجها من خراسان وما وراء النهر الذين لهم شهرة ونبوغ في الفقه والأصول والعربية ، لأن هذه العلوم حظيت باهتمام بالغ من قبل الملوك . أما التفسير والحديث فلم يكن يهتم حينذاك بها إلا قليلاً[1] .

وكفى دليلاً على مكانة اللغة العربية الفائقة بنبوغ جماعة من علماء الأصول والعربية في هذا العصر . منهم برهان الدين محمود البلخي (ف ٦٨٧ هـ) أحد كبار العلماء في عصر السلطان غياث الدين بلبن[2] ،والشيخ رضيّ الدين الحسن بن محمد الصغاني المولود بلاهور سنة ٥٧٧ / ١١٨٠ — ١١٨١[3] في أيام خسرو ملك الغزنوي . رحل إلى غزنة فدرس بها وأفاد

(١) الثقافة ١١ — ١٢

(٢) أخبار الأخيار ٤٥ — ٤٦ ؛ خزينة الأصفياء ١/٣١٤ — ٣١٥

(٣) وردت ترجمته وأسماء مؤلفاته في الأدباء ٩ / ١٨٩ — ١٩١ (دار المأمون) ، فوائد الفؤاد ١٠٣ — ١٠٥ ، فوات الوفيات ١/٢٦١ ؛ الجواهر المضيئة ١/٢٠١ — ٢٠٢ ، بغية الوعاة ٢٢٧ ، مفتاح السعادة ١/٩٨ — ٩٩ ، كشف الظنون ٢/١١٢٢ و ١٧٠٥ ، السبحة ٢٨ — ٢٩ ، الفوائد البهية ٢٩ — ٣٠ ، إتحاف النبلاء ٢٤٣ — ٢٤٤ ، الأبجد ٨٩ — ٨٩١ ، حدائق ٢٥٣— ٢٥٥ ، تذكرة ٤٨ ، جرجي زيدان ٣/٤٩ ، النزهة ١/ ١٣٧ — ١٤١ ، معارف ج ٦٠ العدد ٥ و ٦ (نوفمبر وديسمبر ١٩٤٧) ، بزم مملوكية ٢٩ — ٣٤

ومما يجدر بالملاحظة هنا أن الشيخ نظام الدين أولياء قد قال : إن الصغاني من بدايون كما في فوائد الفؤاد ص ١٠٣ : « اواز بداون بود » فمن هنا ذهب السيد الهاشمي فريدآبادي إلى أنه لم يولد في لاهور بل ولد ونشأ في بدايون بالإقليم الشمالي . انظر تاريخ هند ٢/٢٦٢ ، تاريخ مسلمانان ١/٢٤٢ ، راجع أيضاً بزم مملوكية ٣٣ — ٣٤

ثم حج وزار ، ثم توجه إلى بغداد وأقام بها برهة من الزمان . وأرسل برسالة إلى الهند من الخلافة العباسية سنة ٦١٧ هـ ، ورجع إلى بغداد سنة ١٢٢٦/٦٢٤ ، ثم عاد إلى الهند في أيام رضية بنت الالتمش ملكة الهند رسولاً من قبل المستنصر بالله الخليفة العباسي ، ورجع إلى بغداد في ٦٣٧/ ١٢٣٨ - ٣٩ ، وقد أثنى على فضله ونبله غير واحد من الفضلاء الباحثين . قال السيوطي : « إنه كان حامل لواء اللغة »(١) ، وقال الذهبي : « إنه كان إليه المنتهى في اللغة »(٢) ، وقال الدمياطي : « إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث »(٣) .

الصغاني فيما نعلم أول من ألف كتباً في اللغة(٤) والسير(٥) في القارة الهندية الباكستانية ، و« مشارق الأنوار » محاولة أولية في تدوين الحديث في هذه النواحي ، توفي هذا المحدث الوحيد واللغوي الفريد عام ٦٥٠ / ١٢٥٢ ببغداد (٦) .

ومن كبار الأساتذة بدهلي الشيخ العلامة أبو بكر بن يوسف أفاد وأفاض مدة مديدة بدهلي ، وكان بلبن يكرمه نهاية الإكرام ويحظى

(١) بغية الوعاة ٢٢٧ (٢) المصدر السابق .

(٣) فوات الوفيات ٢٦١/١ ، مفتاح السعادة ٩٨/١

(٤) زبيد ٤٥٢

(٥) لم يورد زبيد اسمه في فصل التاريخ والسير ولكنه ذكر كتابه « در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة » في فصل آداب الحديث ص ٢٩٢ ، وهو أول كتاب في الموضوع بالهند .

(٦) في المصادر السابقة ودول الإسلام ١٢٠/٢ (« القنعاني » بدل الصغاني مصحفاً) .

بصحبته[١] ، وشمس الدين الخوارزمي أحد العلماء المشهورين في العلوم العربية ، ولاّه السلطان بلبن الصدارة بدهلي ولقبه « شمس الملك » وكان يدرّس أيضاً. أخذ عنه الثقافة العربية خلق كثير من العلماء والمشايخ ، منهم الشيخ نظام الدين البدايوني المعروف بـ « أولياء » ، فإنه قــرأ عليه مقامات الحريري وحفظ منها أربعين مقامة[٢]. وسنذكر الشيخ نظام الدين أولياء وغيره من الأعلام الذين أنجبتهم أرض « يوبى » في حديث آخر .

ومنهم الشيخ إسحاق بن علي البخاري (ف ٦٩٠/١٢٩٠) ، ولد ونشأ بدهلي ، وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي البخاري اللاهوري ، ثم عين مدرساً في المدرسة المعزية بدهلي . كان فقيهاً ، زاهداً ، شاعراً ، متفنناً في العلوم ومقدماً في المعارف . من آثاره منظومة عربية في التصريف .

وسراج الدين محمد بن منهاج الدين عثمان الجوزجاني اللاهوري العالم البارع في العلوم العربية ، ولاّه السلطان شهاب الدين الغوري قضاء العسكر بلاهور سنة ٥٨٣ هـ . وبعثه السلطان بلبن سفيراً إلى بغداد في بلاط الناصر لدين الله العباسي[٣] ، وولده أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد الجوزجاني صاحب « طبقات ناصري » أيضاً ، كان عالماً بالعربية ومبرزاً في الفقه والأصول والسير والتاريخ . عيّنه ناصرالدين قباجه (٦٠٧-٦٢٥/ ١٢١٠-١٢٢٨) مدرساً بالمدرسة الفيروزية ، وولاّه شمس الدين ايلتمش القضاء والخطابة والاحتساب ، وغير ذلك من الأمور الشرعية سنة ٦٣٠ هـ[٤]

(١) النزهة ١/١٢١

(٢) أخبار الأخيار ٥٤ و ٧٧ - ٧٨ ، النزهة ١/١٦٦

(٣) النزهة ١/١١٠ — ١١١ ، طبقات ناصري ٣٣

(٤) طبقات ناصري ٨٦

وتولى أوقاف المدرسة الناصرية بدهلي سنة ٦٤٣ هـ[١].

وفي عام ٦٨٨ / ١٢٩٠ قبض جلال الدين فيروز على ناصية الحكم [٢]، وحكمت أسرته الخلجية إلى ٧٢٠ / ١٣٢٠، وظلت العربية وآدابها زاهرة. وفي عهد علاء الدين الخلجي (٦٩٥[٣] - ٧١٦ / ١٢٩٦ - ١٣١٦) كانت العاصمة دهلي حافلة بصفوة من الأساتذة الكبار الذين يقول فيهم البرني في تاريخه « فيروز شاهي »: إن كل أحد منهم كان وحيد العصر في جميع الفنون من المنقولات والمعقولات، ولم يكن لأحد منهم في ذلك العصر نظير في العالم كله، وبعضهم يداني الغزالي والرازي في مبلغ العلم[٤]. فمن أولئك الأفاضل المشار إليهم: ظهير الدين البهكري أستاذ الشيخ شمس الدين يحيى الأودهي

---

(١) المرجع السابق ١٠٨

(٢) طبقات أكبري ١١٧ ونصه: « درأوائل سنة ثمان وثمانين وستمائة برتخت سلطنت جلوس نمود» ، دائرة المعارف الإسلامية « Firùz Shah khildji » .

(٣) في طبقات أكبري ١٣٨. درسنة خمس وتسعين وستمائة برتخت دهلي جلوس نموده . . . ؛ دائرة المعارف الإسلامية (khaldji) .

(٤) البرني ٣٥٢ — ٣٥٣ ، أما قوله بنصه فهو :

« ودرتمامي عصر علائي (أي عـلاء الدين الخلجي) در دار الملك دهلي علماي بود ندكه آنجنان استادان كه هريكي علامة وقت ودر سمرقند وبغداد ومصر وخوارزم ودمشق وتبريز وسفاهان وري وروم ودر ربع مسكون نه باشند، ودرهر علمي كه فرض كنند از منقولات ومعقولات وتفسير وفقه وأصول فقه (لعل البرني لم يعد" الحديث من العلوم من أجل أن العلماء في ذلك العصر لم يهتموا به بل صرفوا النظر عنه بتة) ومعقولات وأصول دين ونحو ولفظ ولغة ومعاني وبديع وبيان وكلام ومنطق ، موئى مى شكافند وهر سالى جندين=

(ف ١٣٤٦/٧٤٧)[١] . قال فيه صاحب النزهة : « لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والفقه والأصول »[٢] ، وفخر الدين الناقلي الدهلوي ، كان يدرس بدهلي ثم ولاه السلطان جـــلال الدين فيروز الخلجي الصدارة ، ومـولانا فخرالدين الهانسوي من الأساتذة المشهورين في عصره [٣] . ومن مؤلفاته دستور الحقائق .

أما أشهرهم فهو خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ف ١٣٢٤/٧٢٥-٢٥)[٤] يقول فيه صاحب النزهة المؤرخ الكبير في تاريخ ثقافة الهند :

= طالبان علم از آن استادان سر آمده بدرجة افادت مى رسيدند ومستحق جواب دادن فتوى مى شدند ، وبعضى ازآن استادان در فنون علم وكمالات علوم بدرجة غزالي ورازي رسيده بودند . . » ، انظر أيضاً تاريخ فرشته ١ / ٢١٢ – ٢١٣

(١) في شأن الأودهي هذا قال الشيخ نصير الدين محمود الملقب بـ « سراج دهلي » :

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم : شمس‌الدين يحيى

انظر أخبار الأخيار ٩٧ ، السبحة ٢٩ ، مآثر الكرام ١٨٢ ، تذكرة ٨٦

(٢) النزهة ٢/٦٦

(٣) قد أورد البرني أسماء ٤٦ أستاذاً عالماً بالعربية في تاريخه فيروز شاهي ٢٥٣ – ٢٥٤ ، وعنه نقله فرشته إلى تاريخه ١ /٢١٣ ، انظر أيضاً طبقات أكبري ١٦٨

(٤) ترجمته وردت في البرني ٣٥٩ ، فرشته ١/١٣٧ و ٢/٧٥٣ – ٧٥٧ ، منتخب التواريخ ١/٩٤ و ٢٠٠ – ٢٠١ ، أخبار الأخيار ٩٩ – ١٠١ ، نفحات الأنس ٦٠٩ – ٦١٠ ، تذكرة ٥٧ ، النزهة ٢ / ٣٨ – ٤١ ، أمير خسرو ، دائرة المعارف الإسلامية (khusrū) .

« أشهر مشاهير الشعراء في الهند ، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخرى قبله ولا بعده ... ونشأ بدار الملك وتنبل في أيام السلطان غياث الدين بلبن ، ولم يزل ملازماً للجد والاجتهاد في التحصيل والتضلع في العلوم حتى بلغ الغاية ، وتفرد بالشعر والبلاغة وغيرها من العلوم ... اخترع أنواعاً من البديع ، منها أبو قلمون ... ومنها ذو الوجهين وهـو أن يرتب المتكلم كلاماً يصح معناه بالعربية والفارسية بالتصحيف والتحريف ، ومنها قلب اللسانين وهو أن يرتب المتكلم كلاماً عربياً يكون إذا قلب كلاماً فارسياً ، أو كلاماً فارسياً إذا قلب يكون كلاما عربياً .. » .

إنما عرف خسرو كشاعر بالفارسية والهندية ، إلا أنه من الظلم حقاً أن ينسى أو يتناسى الناس ولاءه للعلوم العربية . فإنه كان مديناً في كل ما قاله بالفارسية أوجـله للثقافة العربية ، وكان ينظم بالعربية أيضاً . ومن شعره قوله :

ذاب الفؤادُ وسال من عيني الدمُ وحكى الدوامعُ كلَّ ما أنا أكتمُ
وإذا أبحتُ لدى الورى كرب النوى تبكي الأحبة والأعادي ترحمُ
يا عاذل العشاق دعني باكياً إنّ السكون على المحب محرَّمُ
من بات مثلي فهو يدري حالتي طولَ الليالي كيف بات متيَّمُ

ثم أفضت الدولة إلى غياث الدين تغلق سنة ٧٢٠/١٣٢٠ ، وتوالت ملوك أسرته إلى ٨١٧/١٤١٤ ، وأشهرهم محمد تغلق (٧٢٥ ـ ٧٥٢/١٣٢٤-١٣٥١) وهو الذي بسط الحكم الإسلامي على معظم الهند ، وكان له الفضل الكبير في نشاط الحركة العلمية العربية . وهو نفسه كما يقول القاضي الشوكاني

في البدر الطالع : « كان جواداً متواضعاً ، عالماً بفقه الحنفية ، مشاركاً في الحكمة »[١] .

« كان يكتب بالفارسية والعربية على حد سواء . فهو أكبر شهادة على الاهتمام البالغ بالثقافة العربية في عصره . كذلك يشهد فرشته في تاريخه[٢] بحذقه في إنشاء الرسائل بالعربية والفارسية :

« در تقرير فصيح وشيرين كلام وبي نظير بود ؛ ومكاتبات ومراسلات فارسي وعربي بربديهه چنان نوشتى كه دبيران ومنشيان دران حيران ماندندي » .

وعاصمته دهلي كانت حافلة بالمدارس، ففي صبح الأعشى[٣]:

« قال الشيخ مبارك : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية » .

ونبغ في تلك الأيام كثير من رجال العلم ، منهم :

عالم بن العلاء الأندريتي . كان بارعاً في اللغة العربية ، ومبرزاً في الفقه والأصول . هو الذي صنف الفتاوى التاتارخانية ، جمع فيه مسائل المحيط البرهاني والذخيرة ، والخانية ، والظهيرية[٤] . قد طبع واشتهر في العالم حتى غني عن البيان ، صنّفه سنة ٧٧٧ هـ بأمر الخان الأعظم تاتارخان فسماه باسمه[٥] .

---

(١) البدر الطالع ٢/ ١٨٠ (٢) فرشته ١/ ٢٣٦ — ٢٣٧

(٣) ٥/ ٦٩

(٤) كشف الظنون ١/ ٢٦٨

(٥) في كشف الظنون ١/ ٢٦٨ : « وذكر أنه أشار إلى جمعه الخان الأعظم تاتارخان ، ولم يسم ، ولذلك اشتهر به ، وقيل إنه سماه زاد المسافر . »

لخصه إبراهيم الحلبي (ف ٩٥٦ / ١٥٤٩)[١] . وكان فيروز شاه تغلق (٧٥٢ - ١٣٥١/٧٩٠ - ١٣٨٨) يريد منه أن يسمي الكتاب باسمه ولكنه أبى ذلك من أجل أنه ألفه بإشارة الخان الأعظم واعتنائه ، والخان كان ركناً من أركان السلطنة في عهد السلطان غياث الدين تغلق والسلطان محمد تغلق . وصنف بالعربية كتاباً في التفسير سماه « التاتارخاني »[٢] ، ولكن جرّ الزمان عليه ذيل النسيان .

والشيخ عبد الله بن محمد الدهلوي (ف ٧٧٩ هـ) ، المعروف بنقره كار . له « العباب شرح اللباب » في النحو ، صنفه سنة ٧٣٥ لمحمد تغلق . ومن مؤلفاته « شرح تنقيح الأصول » لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبي[٣] .

والقاضي ضياء الدين البرني (ف ١٣٥٩/٧٦٠)[٤] أحد مشاهير فضلاء شبه القارة ، وأعرفهم بالتاريخ وسياسة المدن . كان متقناً للعربية ومتضلعاً من الفقه ، مع أنه ألف « تاريخ فيروز شاهي » بالفارسية .

وأخيراً القاضي عبد المقتدر الكندي التهانيسري ثم الدهلوي (ف

(١) في المرجع نفسه : « ثم إن الإمام إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ست وخمسين وتسعمائة لخصه في مجلد واحد ، وانتخب منه ما هو غريب أو كثير الوقوع وليس في الكتب المتداولة » .

(٢) عفيف ص ٣٩٢

(٣) النزهة ٦٩/٢ - ٧٠ ، كشف الظنون ٢/ ١٥٤٤ ، ولكن فيه أن المترجم له توفي سنة ٧٧٦

(٤) ترجمته وردت في أخبار الأخيار ١٠٣ - ١٠٥ ، تذكرة ٩٧ ، النزهة ٦٤:٢ ، Barani's History ص ١ - ٢٤

١٣٨٨/٧٩١) الذي هو بدون شك مقدم من حيث مكانته في العلم والأدب[١]، بل لم تنجب شبه القارة الهندية الباكستانية في عصورها بأسرها شاعراً أشعر منه ، فإن كل شاعر فيها يشوب كلامه شائبة العجمة ، أما القاضي عبد المقتدر فهو رائع النظم ، ينظم الشعر على منوال فحول الشعراء العرب . فكلامه حقيق بأن ينـال مكاناً رفيعاً بجوار كلام الشعراء العـرب كما هو رأي السيد سليمان الندوي[٢] .

ولد القاضي ببلدة تها نيسر ونشأ وترعرع بدهلي عاصمة الملك ، وأخذ شتى علوم الدين والعربية عن جهابذة من العلماء بدهلي ، منهم الشيخ نصير الدين محمود الأودهي (ف ٧٥٧ / ١٣٥٦) ولكنه برز في الأدب والإنشاء ، وقرض الشعر . وسرعان ما أصبح المرجع والمقصد للطلاب . تتلمذ عليه القاضي شهاب الدين الدولة آبادي الذي عرف بلقب « ملك العلماء » (ف ٨٤٩ / ١٤٤٥) ، وأبو الفتح الكندي (ف ٨٥٨/١٤٥٤) حفيد المترجم له ، اشتهر بلاميته التي يستهلها بقوله[٣] :

يا سائق الظعن في الأسحار والأُصل
سلم على دارِ سلمىٰ وابك[٤] ثم سـلِ

(١) أخبار الأخيار ١٦٠ — ١٦١ ، السبحة ٢٩ — ٣٦ ، مآثر الكرام ١٨٣ — ١٨٤ ، الأبجد ٨٩٢ ، قضاء الأرب ١٩٥ ، حدائق ٢٩٩ — ٣٠٠ ، تذكرة ١٣٣ ـ ١٣٤ ، النزهة ٢/٧٠ ـ ٧٦ ، زبيد ٢٠٦ ـ ٢٠٧

(٢) معارف ج ٣٩ ، العدد ٦ ص ٤٠٨

(٣) انظر القصيدة في السبحة ٣٠ ـ ٣١ ، النزهة ٢/٧١ — ٧٦ ، الثقافة ٤٤ ، ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠ — ص ٣ - ٩

(٤) في ثقافة الهند « فابك » مكان « وابك » .

عن الظبـاء التي من دأبها أبـداً صيدُ الأسود بحسن الدلّ والنَّجَلِ
وعن ملوكٍ كرام قد مضَوا قِدَداً حتى يجيبَك عنهم شاهد الطللِ
أَضحت، إذا بعدت عنها كواعبها أطلالُها مثلَ أجفان بلا مقلِ
فدى فؤاديَ أعرابيّة سكنت بيتاً من القلب معموراً بلا حِوَلِ

جميل أحمد
القسم العربي بجامعة كراتشي (باكستان)

* * *